

مؤتمر "العرب والكرد: المصالح والمخاوف والمشاركات"

29-30 نيسان / إبريل 2017

الورقة المرجعية

يعيش العرب والكرد منذ قرون طويلة في فضاء جغرافي وثقافي واحد، لا تفرّق بينهم حدود الاختلاف الإثني، مهما بلغت درجة الوعي بها، بحيث يغدو من الصحيح القول إننا لا نستطيع أن نتحدث عن "مسألة كردية" في المنطقة العربية قبل مطلع القرن العشرين. وقد بدأت هذه المسألة حين ساد العالم النموذج السياسي القائم على القومية، ولا سيما في القرن التاسع عشر. وقد جرى تأويل القومية، في لحظات أساسية في تاريخ المنطقة، بأنها الهوية الإثنية. كما بدأت المسألة، أيضاً، حين نشأت الدولة الوطنية، التي كان عليها أن تستوعب الهويات السياسية الناشئة.

هويتان ودولة واحدة

بالتزامن مع نشوء الهوية الكردية هويةً سياسية، بدأ الخطاب الكردي يتحدّث عن "وضع خاص" للكرد، بعد أن كانوا جزءاً من سائر الإمبراطوريات الإسلامية في تاريخ المنطقة، وأخرها الإمبراطورية العثمانية. وفي المرحلة ذاتها تقريباً تحولت الهوية العربية أيضاً إلى هوية سياسية.

تبلور هذا في وقت مبكر من تشكيل الدولة الوطنية الحديثة في المنطقة، كما حدث مع حركة الشيخ محمود الحفيد سنة 1919، التي انطلقت من مدينة السليمانية، وكانت تطالب راسمي الخريطة السياسية ما بعد العثمانية من قوى عظمى بوضع خاص للكرد، سبقت قيام المملكة العراقية بسنتين.

ولاحقاً، جرت عملية منهجية لتفكيك الشراكة التاريخية. يمكن اكتشاف ذلك، من جهة الكرد، من خلال محاولة إبعاد كل ما هو عربي أو من أصول عربية في الثقافة الكردية. فمثلاً، وكما كانت حركة "المعجمية العربية" محطة مهمة في تطور القومية العربية، بدأت محاولات تنقيح المعجم الكردي من الكلمات ذات الأصول العربية. وكما كان لصعود النزعة القومية العربية في القرن التاسع عشر تعبيرات رمزية وثقافية، رافق صعود النزعة القومية الكردية حزمة من التعبيرات الثقافية، كلّها تهدف إلى عمل رمزي أساسي، وهو فصل ما هو كردي عما هو عربي، أو التمييز بينهما، في أقل الأحوال، بعد أن كان التداخلُ تعبيراً عن حقبة طويلة من التفاعل.

وعلى نحوٍ أبعد، مسّ هذا التحولُ جزءاً مهماً من النخب السياسية الكردية، التي رافقت نشوء الدولة الوطنية في الربع الأول من القرن العشرين، فهذه النخبُ (وجلبها ذو تكوين عثماني) كانت جزءاً من الفضاء السياسي والثقافي العربي وجزءاً من مشروع بناء الدولة الوطنية، وبعضها لم يكن يحمل مشروعاً قومياً كردياً. والمثال الأكثر شهرة، هنا، هو بكر صدقي، الجنرال الكردي الأصل، الذي تعاملت معه النخبُ العراقية في الثلاثينيات بأنه "حامل مشروع وطني"، على الرغم من نزعته العسكرية. ولذلك، وُصف الكثير من عناصر هذه النخبة بأنهم "كرد مستعربون". لقد تعرّب من تعرّب من كرد المدن. ولكن، مع تطور القومية الكردية ونموها، انحسرت ظاهرة استعراب النخب الكردية.

سار الخطابُ القومي الكردي في الطريق الذي سارت فيه النماذجُ القومية، المماثلة والمجاورة. ولعل الحديث عن "كردستان الكبرى" مقتبس من الأفكار الوحدوية التي سادت المنطقة، كلٌّ منها بقدر ما يستند إلى وقائع جغرافية، فإنّ فيه قدرًا من الخيال يجعله يفترض إمكانية قيام وحدة سياسية بناء على وجود وحدة ثقافية، ولغوية، وتاريخية مشتركة.

وفي النتيجة، لم تمنع تجربة التاريخ المشترك السالفة بين العرب والكردي، وقد انفرط عقدها، من أن تكون المسألةُ الكردية هي المسألةُ الإثنية الأكثر عسراً وعصياناً التي واجهت الدولة العربية الحديثة، وتحديداً، في العراق، وإلى درجة أقل في سورية.

ربما لا تختلف المسألةُ الكردية في هذين البلدين كثيراً عما هي عليه في تركيا وإيران. وهذان البلدان الأخيران يحتضنان الكتلة الديموغرافية الكبرى من الجماعة الكردية (نحو 15 مليوناً في تركيا، و9 ملايين في إيران، في مقابل نحو 5 ملايين في العراق، ومليون ونصف المليون في سورية). إلا إنه من الصحيح القول إنّ المسألة

الكردية في العالم العربي شهدت الحراك الأكبر في تاريخها، سياسياً وعسكرياً؛ ففي العراق، نشأت أهم الحركات القومية الكردية، وزوّدت كردستان العراق الحركة الكردية بأهم رموزها وقادتها، والعراق هو الذي شهد أكبر قدر من الحلول والمبادرات السياسية تجاه هذه القضية، في حين شهدت إيران قيام أول دولة كردية حديثة.

تُجسّد تجربة الكرد، في العراق تحديداً، الصيغة النمطية للمسألة الكردية، سواء في علاقة الكرد بالدولة، أو بالعرب من حيث هم الجماعة ذات الأغلبية الديموغرافية في البلاد، أو في تصور النخب الكردية للترتيبات السياسية والإدارية التي يمكن أن تربط المجتمع الكردي بالدولة، أو في الحراك الحزبي والميليشياوي، أو في التجربة الفعلية للحكم الذاتي، أو حتى في خطاب الاستقلال أو الانفصال في دولة مستقلة.

وفضلاً عن هذا، وبسبب كون العراق جزءاً من العالم العربي (الكبير، قياساً بالفضاءين التركي والإيراني)، ظلت المسألة الكردية تتفاعل مع الفضاءين السياسي والثقافي العربي، فعلى سبيل المثال، أطلق نموذج الفيدرالية الكردية (الذي تحقق، كواقع حال، في العراق ما بعد عام 1991، وجرّت شرعنته ما بعد عام 2003) طموحات لامركزية عدة في بلدان عربية مختلفة، كان مثالها الأبرز في سورية بعد ثورة 2011، مع أنّ المسألة الكردية في سورية كانت الأقل حدة من بين مثيلاتها في الدول المجاورة.

ويمكن في سورية التمييز بين الكرد، الذين قدموا بصحبة صلاح الدين الأيوبي في القرن الحادي عشر الميلادي، وانتشروا في المدن والمناطق الساحلية السورية، ثم ما لبثوا أن اندمجوا وتعربوا على نحوٍ كامل؛ كما هو الشأن في حالة جبل الكرد في الساحل السوري، وحرارة الكرد في دمشق من جهة، وبين الكرد الذين وفدوا إلى سورية في النصف الأول من القرن العشرين في زمن الانتداب، وتركز معظمهم في منطقة الجزيرة السورية بمحافظة الحسكة من جهة أخرى. فلم يتصرف إبراهيم هنانو أو أديب الشيشكلي وقائد الأركان فوزي سلو، وهم ذوو أصول كردية، بصفتهم كرداء، بل بوصفهم وطنيين سوريين ارتبطوا مع العرب بعروة الوطنية السورية، واتجه بعضهم إلى القومية العربية. ومن الملاحظ أنّ كرد الجزيرة تجاذبتهم النزعتان القومية الكردية والوطنية السورية، تتنازلاً في بعض الأحيان وتعايشاً في أغلب الأحيان، وأتاهم الوعي القومي المنظم محمولاً من خارج الحدود قبل أن يتجذر مع الولاء الوطني السوري.

وساهم هذا الوجود للجماعة الكردية في الجزيرة السورية، والاتصال الثقافي مع كرد الجوار، والتميز القومي ضدّ الكرد السوريين في ما بعد، والتضييق على حرياتهم في التعبير بلغتهم وعن هويتهم الثقافية القومية، وحجب الجنسية عن قطاع واسع منهم، وتأثير تطور الوعي القومي الكردي في العراق وتركيا بالالتصاق مع الحركة السياسية والحزبية، ساهم كل ذلك في نشأة الوعي القومي والثقافي وبروز الحركة السياسية والحزبية الكردية في سورية. فبزغت أول حركة قومية من منفيين كرد على تركيا، أخذت طريقها لدى كرد الجزيرة، وتنامى معها وعي ذاتيتهم القومية الكردية، جنباً إلى جانب مع شعورهم بروابطهم السورية، من دون أن تصل إلى مرحلة تشكيل حركة سياسية؛ إذ تنامي الوعي والشعور القوميين لكرد سورية بتأثير حراك الكرد الأتراك والعراقيين والإيرانيين. وشهدت الفترة 1946-1970 بداية تبلور الحسّ القومي الكردي في سورية، نتيجة وصول تيارات الوعي القومي من كردستان الشمالية، ولا سيما بعد تأسيس الحزب الديمقراطي الكردي (البارتي)، وتعمق أكثر مع تركز الدولة التسلطية في المرحلة التالية.

المسألة الكردية والدولة التسلطية في المشرق العربي: أزمة المواطنة

تركز الحراك الكردي في الاحتجاج على إقصائهم عن المشاركة الفعلية في إدارة بلدانهم، و"التعسف" الثقافي الذي يتمثل في حرمانهم من حقوقهم الثقافية واللغوية، ومحاولة تجريدهم حتى من الاعتراف بهويتهم القومية. ولذلك، تكثفت المطالب الكردية في الإدارة الذاتية للمناطق الكردية. وهذا الحل، من منظور الحركة القومية الكردية، هو حل سياسي وثقافي. فظهر مطلب "الحكم الذاتي" في العراق خلال ما يُعرف في الأدبيات الكردية بـ "ثورة أيلول لسنة 1961"، وفي سنة 1992، أقر برلمان كردستان الفيدرالية شكلاً للعلاقة مع الدولة العراقية. غير أنّ الدولة التي ناضل ضدها الكرد هي النموذج التسلطي الذي عاناه العرب أنفسهم، إذ تغيب المشاركة السياسية، وتختفي الحريات المدنية، وتتغول السلطة التنفيذية، ويُعسكر المجتمع.

وفي الحقيقة، يمكن طرح المسألة الكردية في البلدان العربية باعتبارها نتاج الدولة التسلطية العربية نفسها، سواء في فهمها للهوية الوطنية، أو في العلاقة بين الفرد والدولة، أو في مبدأ المواطنة. وهي أزمة عامة، على ما يبدو. والواضح أنّ الحركة القومية الكردية فشلت في بناء تصور يعي خصوصية مسألة الكرد ومواطنتهم في

كل دولة من دول المنطقة، وظلت تتعامل بشكل مزدوج في سياق النضال من أجل الحقوق الكردية في كل دولة، والعمل على تهيئة مقومات الاستقلال في الوقت نفسه، أو تقديم اللامركزية بوصفها حلاً لعلاقة الكرد بالدولة الوطنية، ثم تضمنيها روحاً انفصالية، تهدد سيادة الدولة في الوقت نفسه. ولم تتضح معالم المشروع القومي الكردي، ولم يطرح فعلاً كبرنامج واقع، ولكنه ظل يشد الحركات الكردية بعيداً عن مطالب المواطنة المتساوية والفيدرالية في إطار الوطنية المشتركة مع العرب.

هذا الازدواج، بحسب التصور العربي، هو الذي جعل الحركة القومية الكردية، مستغلة الظروف الإقليمية الراهنة، تقع فيما وقعت فيه حركات قومية عبر العالم، من محاولة رسم منطقة قومية خالصة، من خلال التهجير القسري للسكان الأصليين من غير الكرد. هذا، في الأقل، ما يوحي به النزاع على ما يسميه الدستور العراقي لسنة 2005 "المناطق المتنازع عليها"، وكذلك ما تقوم به الميليشيات الكردية في سورية من محاولة رسم منطقة كردية صافية، بتهجير المواطنين العرب، في مناطق بعضها ذات أغلبية عربية.

المؤتمر

انطلاقاً من أهمية الموضوع وراهنيته، ومن ضرورة البحث في العلاقات العربية - الكردية في ظروف يقف فيها العرب والکرد على مفترق طرق في كل من سورية والعراق، يعقد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤتمراً أكاديمياً بعنوان "العرب والکرد: المصالح والمخاوف والمشاركات" وذلك خلال الفترة 29-30 نيسان/ أبريل 2017. ويأتي هذا المؤتمر في إطار سلسلة مؤتمرات العرب والعالم التي يعقدها المركز العربي سنوياً، وتتناول علاقات العرب بجوارهم والعالم. وإذا كانت المؤتمرات السابقة تناولت علاقة العرب بـ "الآخرين"، في إطار العلاقات الدولية (العرب وأميركا، العرب وروسيا، العرب والصين)، وكذلك في إطار التفاعلات الثقافية (العرب وإيران، العرب وتركيا)، فإن مؤتمر "العرب والکرد" سيدرس مسألة "الآخر" داخل الدولة العربية الحديثة، ويركز على المحاور التالية:

- التمازج الثقافي والحضاري الكردي - العربي.
- البعد التاريخي للمسألة الكردية في العراق وسورية.

- المسألة الكردية والمسألة القومية في المنطقة العربية.
- قومية الهويات في إطار الدولة العربية الحديثة: أنموذج العراق وسورية.
- الكرد والهوية الوطنية: أنموذج العراق وسورية.
- المشاركة السياسية للكرد في الدولة العربية الحديثة: الدولة، الأحزاب، المجتمع المدني.
- الكرد والنضال من أجل المواطنة.
- تصور الحركة القومية العربية للمسألة الكردية وتصور الحركة القومية الكردية لطبيعة العلاقة مع العرب.
- القوى السياسية الكردية ومفهومها للمسألة الكردية.
- القوى السياسية العربية ومفهومها للمسألة الكردية.
- الدولة التسلطية في المشرق العربي والمسألة الكردية.
- المسألة الكردية بين الأقلوية والقومية.
- الحركة الكردية المسلحة ودور البيشمركة.
- الحكم الذاتي واللامركزية واللامركزية، بين الرؤية الكردية والاستجابة العربية: المثال والواقع.
- المسألة الكردية والتغيرات الديموغرافية.
- الكرد والنظام التوافقي في العراق ما بعد 2003.
- الكرد والثورة السورية: التصور، الواقع، العلاقة بفصائل المعارضة السورية.
- الانقسامات داخل الحركة القومية الكردية حول تصور مستقبل كردستان.
- السياقات الإقليمية والدولية للمسألة الكردية.
- تركيا والمسألة الكردية في العراق وسورية.
- الحركات القومية الكردية والقضية الفلسطينية وإسرائيل.
- ظاهرة الشعراء والأدباء الكرد السوريين باللغة العربية ومساهماتهم في تطوير جماليات الأدب العربي الحديث وبناء.
- الذاكرة الدامية ودورها في تصور مستقبل العلاقة بين العرب والكرد.
- مستقبل العلاقات العربية - الكردية بين الحلول الراديكالية والعيش المشترك.